

نمطان المواطنة لدى الشباب الجزائري Representations of citizenship among young Algerians

أ. بليح عائشة
جامعة الجلفة

ملخص المداخلة

تعتبر المواطنة من أكبر التحديات التي تواجهها الدولة الحديثة والمواطنين فيها، فإما بناء مواطن فاعل و مسؤول وواعي لمسؤولياته وحقوقه، وإما الغرق في أشكال مختلفة من التشتت والفساد، والولاءات الضيقة التي باتت تحتل الأولوية أحيانا على حساب المواطنة والانتماء والهوية، فالدولة الحديثة ليست مجرد مؤسسات للحكم ودستور مكتوب، وجيش وقانون، بل مشروع مجتمعي متكامل وظاهرة للتعاون والتفاعل الوثيق بين مواطنين واعين وناشطين، فهم مصدر السلطة، وهنا يشكل الشباب الفئة المقصودة والمعنية والممول عليها للحفاظ على القيم الاجتماعية للمجتمع و الاحساس بهويته والاعتزاز بها والتضحية من أجلها مع الانفتاح في نفس الوقت على الثقافات الأخرى والتفاعل معها في جو من الانسجام والموضوعية، وإعادة التوازن بين ما هو محلي وما هو كوني للتخفيف من غلواء قيم العولمة وما صاحبها من تحولات وانهايار للحدود بين الثقافات المحلية والعالمية، وما صاحب ذلك من آثار سلبية أحيانا، فالشباب الجزائري مثلا مطالب بالمحافظة على الهوية الوطنية والخصوصية الثقافية بشكل يضمن الانتماء الذاتي والحضاري للمواطن دون تصادم مع الأفكار الرائدة في محيطه.

الكلمات المفتاحية : الشباب ، المواطنة ، السياق السياسي والاقتصادي ، العولمة الإعلامية.

Abstract

Citizenship is one of the greatest challenges faced by the modern state and its citizens. It is either building an active, responsible and aware citizen of its responsibilities and rights, or drowning in various forms of dispersion and corruption, and narrow loyalties that sometimes take priority at the expense of citizenship, identity and identity. The Constitution is a written, an army and a law. It is an integrated and visible community project for the cooperation and close interaction between conscious citizens and activists. They are the source of authority. Here, young people are the target, dependable and dependable group to preserve the social values of society and its sense of identity and pride it and sacrifice for it with openness at the same time on other cultures and interact with them in an atmosphere of harmony and objectivity, and restore the balance between what is local and what is being to mitigate intimidation globalization values and the attendant transformations and the collapse of boundaries between local and global cultures, and the attendant effects. Sometimes negative, Algerian youth, for example, are required to preserve the national identity and cultural specificity in a manner that ensures the self-belonging and civilization of the citizen without colliding with the prevailing ideas in its surroundings.

مقدمة

إنّ الحديث عن قضايا الشباب فيما يتعلق بروح المواطنة وتنميتها كرابط جوهري يربط بين الفرد و المجتمع الذي ينتمي إليه وكأحد المعايير الدالة على رقي الإنسان وهي الدولة التي يعيش في إطار نظامها، وتعتبر في نفس الوقت معيارا لمدى تقدمه يقتضي في إحدى جوانبه الهامة التطرق إلى معرفة المصادر و المكامن و الآليات و الظروف النفسية و الاجتماعية التي يعيش فيها الشباب في واقعهم المحفوف بالتغيرات التي وضعت الشباب في كثير من مناحي الحياة و مواقفها أمام إختيارات مختلفة بل وحتى متناقضة يصعب عليه

إختيار الوضع السوي أو الأنسب لها و يضعه تحت وطأة الضغوط و التوترات و القلق التي تعتبر في كثير من الأحيان دوافع مباشرة وراء تبني الشباب لسلوكات غير سوية و غير عقلانية في مواقعهم التفاعلية. إنَّ القيم و الأهداف التي سادت الجزائر منذ إندلاع الثورة إلى غاية اليوم، كانت تتغنى بشعار الوطن قبل المواطن و تمجيدها للجماعة و قيمها. حيث وجد المواطن نفسه مجبرا على التضحية بنفسه و ممتلكاته في سبيل الاستقلال أولا ثم تسخيرها نفسه وجهوده لإخراج الوطن من التخلف و التبعية، وكان الدافع في تحفيز المواطن هو اعتقاد ديني أو إيديولوجي سياسي ينطلق من قصور الحزب الواحد في الجزائر، ولكن الدافع بدأ يتلاشى بمر السنين و بظهور تناقضات في المجتمع الجزائري وكشف المواطن بأن شعار "الوطن فوق الجميع" وغيرها من الشعارات الأخرى هي عبارات عن تزييف الوعي الجماهيري. بحيث تَكشَف للمواطن أنَّ بعض القيادات الحاكمة المتغنية بمثل هذه الشعارات نفسها التي تستعمل الوطن لتحقيق مكاسب شخصية الأمر الذي ولد تخوفا لدى المواطن من مصيره خصوصا في ظل المؤشرات الاستقلالية.

إنَّ من أسباب ظهور الحركات الاجتماعية في الجزائر منذ نهاية الثمانينيات هو لما إرتفع إنفعال الغضب و العداوة لدى المواطنين كأفراد ساهم بشكل سلبي في إنخفاض الشعور مفهوم المواطنة، و ارتبطت مشاعر الغضب و العداوة بشعور الشباب خصوصا بالإحباط و الحرمان من إشباع حاجاته، و لا يتم تحقيق المواطنة إلاَّ بإدراك الشاب لمكانته في المجتمع، فالشاب المواطن الذي يدرك أنَّ مكانته في المجتمع توجد في الدرجة الثانية من الصعب عليه أن يكسب شعورا قويا بالهوية الوطنية، وهذا الشاب المواطن قابل للتعرض للأذى نتيجة لضغوط التغيرات السريعة الاجتماعية و الاقتصادية التي تضرهم وحين يتغيّر اتجاه الشاب في الحياة وحين تضطره الظروف إلى ذلك فقط يستجيب في أغلب الأحيان إلى التمرد، أو الإنحراف بخاصة إن لم يحقق إرضاء و إشباع دوافعه الأولية وحاجاته الثانوية لاسيما إذا واجه في تفاعلاته بين ما اكتسبه مثلا خلال تكوينه المعرفي و العلمي وبين إيفرضه الواقع المعاش مما يتفاقم حدّة الصراع الذي يعيشه الشاب ويضعه أمام حالة من الشعور بفقدان المعايير.

مفهوم الشباب في علم الاجتماع:

هو مرحلة عمرية وعمرية وحالة نفسية اجتماعية ثقافية وجيل اجتماعي في مرحلة تشكله بمعنى تشكيله من ناحية القيم و المعايير و ازدواجيتها و تعدد الحاجات و الرغبات و الطموحات وتتنوع أساليب و تحقيقها و تتناقضها و تراوحها بين الممكن و المستحيل نسبيا في الأفق الزمني الأقرب هذا في الوقت الذي يميل فيه إلى التمرد و السعي إلى إثبات الذات 1)

ويحدد علماء الاجتماع فئة الشباب إستنادا إلى المجتمع كإطار مرجعي، حيث يعرف علم الاجتماع السن Sociologie de âge. عادة السن بتعاقب الأدوار الاجتماعية في دورة الحياة، يستند لها بُعد الوضعية الاجتماعية "طالب. عامل. متزوج"، ويُعدا معياريا يتجلى في جملة السلوكات المحددة التي ينتظرها المجتمع و التي تتناسب مع كل وضعية المنجي زايد (2006، 203) وفي هذا الإطار يفرق علماء الاجتماع بين نوعين من الدور سن الإعداد وسن الفاعلية و الإكتمال، حسب السياق الاجتماعي، فدور الطالب مثلا يتمثل في التكوين و إكتساب معارف وهو النوع الأول. بينما الموظف هو النوع الثاني لأنه إستكمل دوره السابق

ويرى علماء الاجتماع على أنّ فترة الشباب تبدأ من خلال دخول الفرد إلى المجتمع الذي يحاول بدوره إدماجه وتأهيله ليؤدي عمله داخل المجتمع. فالشباب يختلفون عن الأطفال لأنهم دائما في وضعيّة مستقلة عن الأسرة وهذا يعود إلى إستكمال دراستهم الجامعيّة و الانخراط في الشغل و إمتلاكهم للدخل و المسكن ثم الزواج بهدف تكوين أسرة خاصة بهم خالية من التبعية ومن تسلط الأهل ،بعكس الأطفال فهم دائما في كنف الأسرة .وتحت رعاية سلطة المؤسسة ثم إلى جانب أن الشباب مختلفون عن الكهول في السن ،فهؤلاء إلى الكهول يصبحون غير قادرين على العطاء في مهنتهم ،وفي تدبير أسرهم نظرا لتقدمهم في السن و بالتالي فإنهم يتخلون عن دورهم الاجتماعي عندما يصلون إلى سن التقاعد.

و لكن لا يمكن أن نعتبر بأنّ الدور الاجتماعي وحده هو الذي يحدد لنا مفهوم السباب الذي يتمثل في "إنتهاء الدراسة و الدخول إلى الوظيفة أو الاستقلال عن العائلة " ،فقد عرفت المجتمعات العربيّة و المجتمع الجزائري على وجه الخصوص تغيرات على المستوى السوسيوثقافي .فال فشل الدراسي و العجز عن تأمين العمل ومتطلبات الحياة ،أفرزت لنا مجموعة من الشباب غير قادر على أداء الدور بالشكل الذي يحدده النظام الاجتماعي بالرغم من حصوله على شهادة العضوية الاجتماعيّة بحيث هنالك من الدارسين ينظرون إلى الشباب على أنهم فئة أقل تماسكا داخل المجتمع بسبب الإقصاء الاجتماعي الذي يعيشونه من حيث أزمة التشغيل و التكوين ،وهو ما عبر عنه إدغار موران " أن الشباب هو الحلقة الضعيفة في التماسك الاجتماعي " المنجي زايد (2007،18) وقد إعتبر الباحث ادريس بن السعيد بأن الشباب هو طاقة خلاقة وهدرها مغامرة كبيرة للمجتمع أنيا ومستقلا.

ويعرّف مصطفى حجازي في مؤلفه "الإنسان المهدور " الشباب بأنها "الكتلة الحرجة التي تحمل أهم فرص نماء المجتمع وصناعة مستقبله .كما أنهم في الآن عينه يشكلون التحدي الكبير في عمليّة تأطيرهم و إدماجهم في مسارات الحياة الاجتماعيّة و الوطنيّة و الإنتاجيّة النشطة و المشاركة إنهم يشكلون العبء الذي تضيف به السلطات ذرعا . وتخشاها أيما خشية ،في الوقت نفسه الذي تقتصر فيه أيما تقصير في وضع الاستراتيجيات الكفيلة بتحسين توظيف طاقاتهم الإنتاجيّة ،وتوقيهم إلى البذل والعطاء مصطفى حجازي(2006، 203) ،وحسب مصطفى حجازي فإنّ فئة الشباب تختلف من حيث ظروفها وخصائصها و إمكانياتها وطموحاتها .وليسوا شريحة واحدة كما تروج لها بعض الأدبيات ، وتتنوع فئة الشباب بين فئة المحظيّة المترفة وهي فئة قليلة ،والفئة المنغرسه اجتماعيا ومدرسيا وهي تمثل جيل النخبة من الشباب ،وفئة طامحة لبناء مكانتها اجتماعيا بدأت تأخذ حضاها من الفرص ،وأخيرا فئة الشباب المهدور وهي الأكثر فئة حضورا داخل المجتمع ، والتي تدخل ضمن حسابات السلطة ومخططاتها ،إلا في مجال القمع و الردع.

وهذا وتشير بعض الدراسات الأنثربولوجيا التي اهتمت بالشباب و اعتبرت على أنهم يختلفون من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى ،حيث تلعب الثقافة تأثيرا كبيرا على انتقال الأطفال إلى سن الشباب.

إن تحديد مرحلة الشباب في أي سن ينتهي من أكثر الصعوبة التي تواجه أي باحث ،فقد إعتبر إدريس بن السعيد بأن مفهوم الشباب على مستوى السوسبولوجي مفهوم ليس له حدود واضحة ومضبوطة وهو ما أقره بيار بورديو في مقالته الموسومة *la jeunesse n'est qu'un mots* بأنّ هنالك إتجاها عاما في علم الاجتماع

يعتبر " الحدود بين الأعمال أو شرائح العمرية حدود إعتباطية فنحن لا نعرف أين ينتهي الشباب لتبدأ الشيخوخة مثلما لا يمكننا أن نقدر أين ينتهي الفقر ليبدأ الغنى (143، 1984) Pourieu Piere)، وتظهر هذه الصعوبة في تنوع المراحل العمرية للشباب ،وقد ذهب بعض السوسيولوجيين في مرحلة السبعينات إلى إعتبار سن الذي يتراوح بين (15-25 سنة) هو السن المحدد لفترة الشباب حيث يحدث تحولات هامة في حياة الفرد الشابة فعندها يترك التعليم بعد إستكمالها عادة ، ويلتحق بعمل دائم ويتزوج أو يسعى إلى تحقيق ذلك على الأقل فهو بعبارة أخرى يترك فترة الطلب ويبدأ حياة الراشدين ،ينزل إلى معترك الحياة ويرتبط بعدد من المؤسسات التي يتعامل معها الراشدون ،وبتغير تبعا لذلك تصوره لذاته وللآخرين والمجتمع عزت حجازي (28.27).

أما بول ساسكون فقد إعتبر أنّ مرحلة الشباب تبدأ في سن الثانية عشر و تنتهي سن الثلاثين وتكمن المرجعية هنا في المعايير الثقافية والاجتماعية وهما القدرة على الصوم ووضعية الزواج رشيدة برادة (2009، 29).

مفهوم المواطنة:

لقد أجمع الكثير ممن تناولوا تعريف المواطنة على الربط بينها كمفهوم و الحقوق و الواجبات أو المسؤوليات و الالتزامات ،فالمواطنة شعور وجداني بالارتباط بالأرض و أراد المجتمع الآخرين الساكنين على تلك الأرض .وهذا تترجمه مجموعة من القيم الاجتماعية و التراث التاريخي المشترك ،ومن ثن قانّ المواطنة هي جذر الهوية الاجتماعية وعصب الليونة الاجتماعية.

وهناك من عرفها على أنها صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه إنتمائه إلى وطنه (1).وفي موسوعة كولير الأمريكية تعرف المواطنة "أكثر أشكال إكتمال في جماعة سياسية ما سعيد بن سعيد ناصر حمدان (09)

ويتأصل مفهوم المواطنة في الفكر الإسلامي من خلال تأصيل الشورى كنظام يحكم العلاقات الاجتماعية و أساليب إتخاذ القرارات في المجتمع الإسلامي و الذي يدل على أهمية التداول و المشاركة وتبادل الآراء و الأخذ برأي الأغلبية .وهي مرتكزات أساسية لمفهوم المواطنة وينظر الإسلام إلى المواطنة على أنها كانت تطبق على المسلم وغير المسلم ممن يعيش في المجتمع الإسلامي فالناس سواسية تحت النظام الإسلامي فيما يتعلق بالمعاملات و العلاقات و لا نفرق بينهم ،وبعد المواطن في نظر الإسلام على أنه ذلك الإنسان الذي يتمتع بحقوقه ومكاسبه في مقابل ما يمليه عليه الدور أو الأدوار التي يؤديها من إلتزامات ومسؤوليات وعلى الدولة أن تحمي هذه الحقوق وترعاها وتزود عنها ،وتؤكد على أن تكون العلاقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع ومؤسساته الحكومية وفقا للتشريعات الإسلامية سعيد بن سعيد ناصر حمدان (19).

دعائم أو ركائز المواطنة:

هنالك مجموعة من الدعائم أو المرتكزات الأساسية لمفهوم المواطنة والتي تمثل البنية التحتية لهذا المفهوم في أي مجتمع .ومنها يستمد قوته وحيويته:

أولاً/المساواة: وهي دعامة أساسية لتفعيل المواطن ضمّنتها الأديان وغيرها من الشرائع، ومنها المساواة ضد التمييز فلا يجب التمييز بين أفراد المجتمع في المعاملة وفقاً لخصائص الأفراد أو طوائفهم أو طبقاتهم، فلا بدّ أن يكونوا سواسية تحت ظل القانون وعلى الأفراد أيضاً أن يتجاوزوا، وهم يتعاملوا مع بعضهم البعض كمواطنينهم حدود الانتماءات الضيقة الخاصة الأسرية أو القبلية أو المهنية أو العرقية أو غيرها.

ثانياً/ العدل: وهو مطلب ضروري ينشده كل أفراد المجتمع، والإلتزام به من قبل المجتمع ومؤسساته تجاه الأفراد يؤدي إلى الإيجابية في الأداء والمشاركة الفاعلة وإلى الترابط الاجتماعي القوي بين جزئيات المجتمع والعدالة المدعومة بسلطة القانون، تهئى الفرص للتواصل الجيد بين أفراد المجتمع ويجعل المجتمع يعمل ككليات واحد قوي متماسك، إذ يتعمق لديهم الشعور بالانتماء الوطني.

ثالثاً/ الحرية: لا تقل الحرية في أهميتها ودورها لتفعيل المواطنة على المساواة والعدل فجميعهم ركائز أساسية لا تقوم المواطنة بدونهم، فالحرية تبرز خصائص الشخصية وتعزز الثقة لدى المواطن وتوسع آفاق المشاركة الاجتماعية.

رابعاً/ تكافؤ الفرص: إن تهيئة الفرص المتساوية أمام المواطنين في المجالات المتعددة التعليمية والعملية والترفيهية والخدمية وغيرها يزيد من إمكانيات العطاء والمشاركة بكل إخلاص من قبل المواطنين، ويدفع ذلك إلى بذل الجهود لدفع حركة التقدم والتطور في المجتمع والتأكد على هيئة الفرص لا يتوقف عندما يخص الذكور فقط بل يجب أن تشمل النساء وكل فئات المجتمع المختلفة، فالمرأة تمثل نصف المجتمع وإعطائها الفرص يمكنها من الإسهام في الحياة العامة وأداء دورها الذي ينتظره المجتمع منها بفاعلية وإخلاص. ولتفعيل المواطنة الحقيقية لابد من توفر كل الإمكانيات والقدرات لدى أفراد المجتمع لتمكينهم من الوفاء بما تتطلبه الفرص التي يهيئها المجتمع لهم /كالمؤسسات التعليمية ومؤسسات الخدمات وعناصرها المختلفة.

خامساً / التعدد والتنوع: يتسع مفهوم المواطنة لكل فئات المجتمع وطبقاته ولأفرادهم بكل انتماءاتهم الفرعية، فهو من السعة بحيث يستوعب المجتمع، ولا يقتصر على فئة دون أخرى أو جماعة واحدة وإهمال الجماعات الأخرى ويحترم خصائص كل فئة وما تتميز به سعيد بن سعيد ناصر حمدان (20، 24)

التنشئة الاجتماعية ودورها في تعزيز قيم المواطنة لدى الشباب

إنّ الإطار العام للعلاقات الأسرية، يساعد في خلق جواً اجتماعياً ونفسياً يؤثر بشدة في تربية الطفل، وتكوين ملامح شخصيته، فالأسرة قادرة على إمداد المجتمع بالمواطن الصالح الذي يتوفر لديه الشعور بالانتماء، والذي يعني تماماً حقوقه وواجباته في المجتمع الذي ينتمي إليه بالعضوية، وتعتبر وظيفته التنشئة الاجتماعية من أهم وظائف الأسرة في الماضي والحاضر ولدى كل المجتمعات بمختلف أشكالها، وهي تعني بنقل الموروث الثقافي للمجتمع عبر الأجيال وهي المعلم الأول الذي يتحمل العبء الأكبر في تربية الأفراد وتهيئهم اجتماعياً ليكونوا أعضاء صالحين في مجتمعهم ولعل الأسرة ومن خلال علاقاتها بالمجتمع ومن خلال هذه الوضعية وأثرها في تدعيم الوعي الوطني والانتماء المجتمعي نستطيع أن نفعل قيم المواطنة أهمها غرس مفاهيم حب الوطن والانتماء إليه.

وفيما يجب أن يكون على الأسرة وخصوصا الأسرة الجزائرية أن تغرس في أبنائها من خلال مشاركتهم في الأنشطة المختلفة، تلك المسؤولية الاجتماعية تجاه الوطن وتؤكد أنّ هذا واجبا وطنيا يجب أن يقوم به الأبناء بتقانٍ وفاعليّة في الأنشطة التي ترفع اسم الوطن عاليا فهذا دليل واضح على استشعارهم بأهميّة المجتمع و مسؤوليتهم تجاهه، ولعل ذلك ما كان يتم إلا بتشجيع الأسرة وحثها الدائم للأبناء للمشاركة، فعندما تكون هذه الروح هي المسيطرة على الأبناء وعندما تكون الأسرة هي الداعم و الموجّه فإنّ المجتمع بخير. تمثلات المواطنة لدى الشباب الجزائري:

إنّ المواطنة ليست وضعيّة جاهزة يمكن جلبها بصورة آليّة عندما تتحقق الرغبة في ذلك، وإنما هي سيرورة تاريخيّة و سلوكيّة يكتسب عندما تنهيا له الظروف الملائمة . وترتبط تمثلات مفهوم المواطنة عند الشباب بإدراكه لمعانيها وخصائصها المتميّزة ومستوياتها، ويدرك قيمة التراكمات التي ساهمت في تشكل مفهوم المواطنة داخل أفراد المجتمع الواحد. ولا نستطيع أن نعرف تمثلات المواطنة عند الشباب في نظرنا إلا إذا عرفنا من هم الشباب حسب متغيرات: السن إذ تختلف مفهوم و تمثلات المواطنة عند الشباب من يبلغ عمره سن 15 سنة عن الشاب الذي يبلغ عمره 25 سنة، وهذا بسبب متغيّر آخر وهو المستوى الدراسي، والموقع الجغرافي و متغير آخر سيساهم في بلورة وعي الشباب إتجاه مفهوم المواطنة وهو السياق السياسي و الاقتصادي للبلاد.

السياق السياسي و الاقتصادي ودوره في بلورة هويّة المواطنة لدى الشباب الجزائري:

لقد سعى الراحل الرئيس هواري بومدين بعد الإستقلال في إرساء قواعد مشروع مجتمعي مبني على العدالة الاجتماعية. و إستقطاب فئات عريضة من المجتمع، ولا سيما الشباب لقد جندت مشروعات على شاكلة الثورة الزراعية للشباب وسخرت حيويته في سبيل بناء مجتمع تسود فيه العدالة الاجتماعية، وبما يتوافق و الأفكار اليساريّة التي كانت رائجة في العالم آنذاك لطفي بومغاز (2014، 317). ولقد تشبعت فئة الشباب بقيم النهضة التنموية و الانفتاح على الآخر بحكم أنّ فئة الشباب يصنفون إلى صنفين صنف متعلم -في تلك الفترة -وصنف جُلب من أرض لخدمة تسيير الشركات و المصانع، فانشغل السباب بعد الإستقلال يتعمون بمفهوم المواطنة في أرض مستقلة ثم البحث عن مصدر العيش الذي ساهمت خطط الرئيس هواري بومدين في توفيرها قدر المستطاع، وبالتالي تصورات الشباب حول هوية المواطنة في أذهانهم تمثلت في الحرية وتملك أي شيء في وطن مستقل. وبعد وفاة الرئيس هواري بومدين شكلت منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر الحديث و أول ما ظهر بعد تعلي الرئيس الشاذلي بن جديد سياسة الإنفتاح الاقتصادي و التي أدت إلى بروز الفوارق الاجتماعية في مجتمع كان متشعبا بقيم العدالة الاجتماعية و التي كانت سببها تفشي مظاهر التبذير وسوء التسيير في المال العام و الذي أدت إلى نمو مشاعر السخط لدى فئات من المجتمع تعاني من الفقر و الحرمان. مما ساعدت هاته الأمور إلى تشكل جبهة معادية للنظام في حركة إسلاميّة إنخرط فيها معظم الشباب من الطبقة التي تعتقد أنها حرمت من حياة كريمة و الذي اعتبر أبسط حق ينفذ من طرف الدولة. من جهة ثانية أنّ الشباب أصبح مغترب عن هويّته الوطنيّة بحيث تمثلت في البحث عن الحرية في التمسك بأي تيار فكري إن كان شيوعي أو اسلاموي حسب مستواه الفكري وحسب طبقته

الإجتماعية ، فهذه التراكمات تعد نقطة انطلاق للعديد من الأعمال الاحتجاجية ساهمت بها أيضا تدني أسعار النفط ودخول الجزائر في أزمة اقتصادية وخضوعها لمديونية منتهكة. لطفي بومغاز (2014، 319) وبالتالي أصبحت التغيرات السياسية والاقتصادية كمتغيرات مستقلة ساهمت وستسهم فيما بعد في تشكيل وعي الشباب الجزائري حول هويته المواطنة، وبالتالي في اعتقادنا أول متغير ساهم في بلورة مفهوم هوية المواطنة بالمفهوم الايجابي أو السلبي هو سياسية التسيير التي أدت فيما بعد إلى ظهور مجموعة من الاحتجاجات ندد من خلالها الشباب الجزائري في تلك الفترة بمجموعة من الإشتباكات الدامية بينهم وبين الجيش الوطني الشعبي و الذي اعتبروا "مهمشين" بتنوع أسس التهميش "ثقافي ، اجتماعي ،اقتصادي .. إلخ " ،إذ تكتلوا في فئات بداية من خرجي الجامعات و العاطلين عن العمل ومن تمّ تسريحهم من جهاز الدولة و أصحاب المهن و الحرف المتضررين من سياسة الانفتاح.

وكخلاصة لما حدث في الجزائر وما لأثر التحولات السياسية والاقتصادية في البلاد وما نتج عنها من عشرية سوداء ساعدت في تغيير أفكار المواطنين و الشباب خصوصا من البحث عن الإستقرار المادي و البحث عن تحقيق الذات في كنف دولة مستقلة إلى البحث عن الأمن ،وإذا عملنا مقارنة بين مواقف أولياء الشباب الذين تظاهروا في أكتوبر 1988 وجوان 1991 بمواقف أولياء الذين تظاهروا في جانفي 2011 ،في حين كان الأوائل يشجعون أبنائهم معنويا وحتى ماديا بقنابل مسيلة للدموع ،وقد اعتمد الأولياء في جانفي 2011 موقفا متباينا تماما حيث لم يتوانوا عن الخروج إلى الشارع لإرغام أولادهم على العودة إلى منازلهم لطفي بومغاز (2014، 333).

إن إدراك الشباب لتقلص دور الدولة بسبب الانفتاح الاقتصادي و استعداد غالبيتهم للجوء إلى تجاهل القانون وتغليب مصالح أفرادها الخاصة على المصلحة العامة ساعد ذلك إلى شعورهم بعد الاستقرار و القلق وإصابتهم بضعف الولاء جويده عميرة (2013، 37) والذي سيتسبب فينا بعد إلى عدم الثقة بين الشباب المواطن ودولته التي يعيش في كنفها.

و إن عملنا حوصلة لما قلناه مجد أنه ظهرت أزمة ثقة في المجتمع الجزائري أدى إلى ظهورها ثلاثة عوامل أو أبعاد أساسية حسب رأي محمد بومخلوف .محمد بومخلوف (2013، 78، 79) وهي:

1/العامل أو البعد التاريخي : ويتمثل في ما خلفه بطش المستعمر من رواسب في الثقافة الشعبية والذاكرة الجماعية ،وهذا العامل أسس لثقافة قائمة على الشك و الخوف من الآخر ومن المجهول ،تراكمت مدة قرن و إثنتين وثلاثين سنة من الوحشية و الغدر و الهمجية عاشها السكان الجزائريون.

2/العامل أو البعد الزمني : وتعلق الأمر بالإضطرابات السياسية و الاجتماعية التي عاشتها الجزائر في التسعينيات من القرن الماضي الموسومة بالعشرية السوداء ففي أثناء هذه الفترة هبط مستوى الثقة إلى الصفر أو ما دونه ، وأنّ شباب اليوم عاش طفولته في تلك الفترة ،الأمر الذي نمى ثقافة الشك و الخوف مرة أخرى ،واحي رواسبها ناهيك عن إنتشار ظاهرة الإجرام و الاعتداءات و السرقات ليلا ونهارا .

3/عامل أو بعد الفساد البيروقراطي :ويتمثل في الفساد المتفشي في الإدارة جراء الفوضى و التعقيدات و الجمود ومختلف الآفات كالرشوة و المحسوبية و المحاباة و غيرها التي شكّلت بيئة خاصة ،هذا الواقع غدّى

ضماثرهم بفقدان الثقة إلى درجة ساد الاعتقاد معها باستحالة حل مشاكل الناس إلاّ بوسائط، وتعاملات خاصة وما ينجر عنها من فساد ولاشك أنّ هذا الوضع لا يخلو من مظالم وجود وضياع الحقوق وهضم المستحققات و الكسب غير المشروع ففي ظل الفوضى وغياب الشفافية يُصبح كل شيء ممكن.

لقد ساهمت أبعاد قيم عدم الثقة إلى ظهور إزدواجيها لدى الشباب الجزائري وتتمثل في قيم الظاهر وقيم الباطن وقولهم الإيمان في القلب وإن لم بصدقه العمل حيث أصبح الشباب الجزائري يُجاري الواقع في أفعاله ويتجاوب مع القيم الشائعة ، فتجده يتصرّف ملا يؤمن به ونجده يُعيش تناقضا حادا في حياته إلى درجة تأنيب الضمير المستمر ، وهذا ما جعلته مزدوج الشخصية السلوكية محمد بومخلوف (2013، 75).

وبالتالي من أجل التحدث عن مفهوم المواطنة لدى الشباب والذي لم يراعوا مجهودات الدولة في محاربة الأمية والتنمية الاجتماعية وإن قلت نسب التطور فيها ، إلا أنهم بين ما يجب أن يكون و ما هو كائن ، إذ تتجسد قيم المواطنة لديهم حسب سنهم وطبقتهم الاجتماعية و توزيعهم الجغرافي في قيمة أو قيمتين على الأكثر ، و أنّ قيمة الولاء للوطن ينعكس في ذهنهم في الدفاع عن الأرض أو أغاني يُغنى بها في ملاعب كرة القدم و انحصرت قيمة الولاء عند الشباب إلى الولاءات الضيقة للقبيلة أو إلى الأفراد ، ونقطة مهمة يجب إيضاحها وهي أن هنالك موجة جديدة من الأغاني "الراب " و " الراي العاصمي " يتغنى بها شاب تساهم بطريقة غير مباشرة في تمرير رسائل لكافة الشباب وبدون وعي أو بوعي نجدهم يتجاوبون معها وتتمثل هذه الأغاني في مجموعة من الأبعاد يجب تسليط الضوء عليها وهي كلمة "الدولة حقارة" ، "جماعة الشكارة" ، "مبقاش معيشة في هذه لبلاد ... إلخ" وكثير من هذه الأغاني كخطاب شعبي من طرفهم ساهم ويساهم بشكل أو بآخر في بلورة وعي الشباب من مرحلة المراهقة خصوصا لأنه في هاته المرحلة يقبل الشاب أي جديد ستساهم في ما بعد في تشكيل هوية المواطنة في ذهنه ، وكذا عدم تلقينهم تكويننا على قيم المواطنة وآليات ممارستها على أرض الواقع بطريقة علمية و منظمة.

دور العولمة الإعلامية في إعادة إنتاج هوية المواطنة في وعي الشباب الجزائري:

إنّ علاقة الإعلام بالشباب في وقتنا الحالي علاقة الجزء بالكل ،بحكم أنّ الشباب أصبح يتابع كل جديد من خلال الميديا .فساهم بذلك الإعلام فيما بعد بتأثيره على وعي الشباب إلى ما هو سياسي خاصة فيما يتعلق بالمواطنة و المجتمع المدني و اقتصادي من حيث الهيمنة التجارية للمؤسسات الإعلامية ، وثقافي و اجتماعي فيما ينشره من أفكار و أيديولوجيات ترتبط بقيم المجتمع فإنّه و بناءا على التنظير الإعلامي الحديث وما نتج من التوجه إلى فكر إعلامي أو ما يسمى "بالعولمة الإعلام" أو "الإعلام العولمي" عائشة بليح ، العولمة وإشكالية الهوية لدى الشباب العربي (2016 ، 5). حيث تعمل الوسائل الإعلامية كقوى رمزية في تحويل مجتمع الجماهيري و الذي هو مجتمع يتميز بخصوصية الثقافية إلى مجتمع استهلاكي مميّزته تلقي المعلومة الإعلامية كمادة ، حيث تنظر هذه الوسائل إلى الفرد على أنه مستهلك دون مراعاة قيمه ومعتقداته وهو معرض لهيمنة ثقافية واحدة عالمية ، فقد أشار هريبرت شيلر إلى مصطلح الإمبريالية وهي استخدام قوة الميديا من أجل فرض القيم و العادات و النزعات الاستهلاكية كتقافة أجنبية وافدة على حساب الثقافة المحلية نبيل علي (2001 ، 376) إذ يقول في هذا الصدد "إنّ تلاعب بعقول الناشئة يتم بطرق شتى .وإن كان ما يبث إعلاميا يحمل قيمه معينة يراد لها الشيوع ، وإن ذلك يتم تحت ستار الموضوعية أو الحياد أو لمجرد التسلية إكس ميكشلي (1993 ، 140) ، من خلال هذا ساهم الإعلام العولمي في إعادة إنتاج مفهوم المواطنة لدى جيل واكب التطورات الهائلة للتكنولوجيا فقد تجاوز السباب الجزائري عن البحث عن مفهوم

التقليدي للمواطنة و التي إنحصرت في الحقوق و الواجبات بل تعدى أكثر من ذلك إلى تلازميّة المواطنة بالديمقراطية و البحث عن حقوق الإنسان أدت بالمواطنة إلى البحث عن مواقع جديدة في خطاب العولمة التي ساهمت في التحولات في طبيعة بنية المجتمع الجزائري بصفة خاصة و أظهر ضعف الدولة الجزائرية على الحفاظ على المفهوم التقليدي للمواطنة و إرساء قواعد العدالة و المساواة بين أفراد المجتمع ، ودمجهم اجتماعيا ومحاولة الشباب المواطنين مقارنة حالتهم بالدول الجوار ، الدول المتقدمة من حيث الحقوق و العدالة و الديمقراطية التي يعيش من خلالها شباب تلم الدول.

الخاتمة:

إنّ مفهوم المواطنة يتسع ويتغلغل في آن واحد في كل ممارسات الأفراد وبنية تفكيرهم المنتجة لمعيار العلاقة بين الفرد و المجتمع ،وما يحيط به من إطار ثقافي قانوني يؤطر آليات مشاركة الشباب المواطن في الشأن العام و الحفاظ على المصلحة الوطنية العامة ، فإنّ آليات تنمية وتعزيز مبدأ المواطنة بمختلف أبعادها وتعددتها وتعدد مستويات ممارستها تصبح قضية مجتمع بأكمله تتداخل فيها المسؤوليات وتتشابك لتصبح مهمة وطنية يحكمها الانسجام و ينظمها سياق التناغم ، و الضمان الحقيقي لممارسة المواطنة السليمة لا تكمن في تلك الأفاق التي تحدد معالم الفضاء الاجتماعي و الثقافي و إنما تتمثل في مدى تشرب أفراد المجتمع لقيم المواطنة الحقيقية منذ الصغر و التدريب على ممارسة علميا في مختلف المؤسسات و الوسائط التربوية حسب طبيعة المرحلة التي يمر بها الشاب .

قائمة المراجع:

- 1/ الزايد المنجي ، 2006 ، << ثقافة الشباب في مجتمع الإعلام >> ، مجلة علم الفكر. العدد الأول ، مجلد 35 ، ص 203.
- 2/ الزايد المنجي ، 2007 ، ثقافة الشارع: في دراسة سوسيو ثقافية في مضامين ثقافة الشباب ، تونس ، مركز الناشر الجامعي، ص 18.
- 3/ إلكس ميكشلي ، 1993 ، الهوية ، تر " علي وطفة ، دمشق ، دار الوسيم للخدمات المطبوعة، ص 140.
- 4/ ملنقى وطني ، 2016 ، << الشباب بين الهوية الاجتماعية والهوية الافتراضية >> ، بليح عائشة (محرر) ، العولمة وإشكالية الهوية لدى الشباب العربي ، تلمسان ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ، ص 8 .
- 5/ برادة رشيدة ، 2009 ، المدرسة المغربية كما يراها المراهقون والشباب ، دار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة، ص 29.
- 6/ بومغازي لطفي ، أحمد سيد نوران ، خزمة تامر ، العجاتي محمد و آخرون ، 2014 ، << الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي: مصر ، المغرب لبنان ، البحرين ، الجزائر ، سوريا ، الأردن >> ، بومغازي لطفي ، أحمد سيد نوران (محرر)، << الحركات الاحتجاجية في الجزائر: الحقائق والآفاق >> ، لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 319، 317 - 333 .
- 7/ بومخلوف محمد ، 2013 ، << الشباب بين صراع القيم و أزمة الثقة >> ، مجلة أفكار و آفاق ، المجلد 3 - العدد 04 ، ص 78، 79.
- 8/ Pourdieu Piere, 1984 , Jeunesse n'est qu'un mot, in questions de sociologie , Minuit , p143.
- 9/ عميرة جويده ، 2013 ، << العولمة و آراء الشباب في التحولات القيمية التي يشهدها المجتمع الجزائري >> ، مجلة دفا تر علم الاجتماع . العدد 10 ، ص 37.
- 10/ حجازي عزت ، 2009 ، الشباب العربي ومشكلاته ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون وآداب ، ص 27، 28.
- 11/ حمدان سعيد بن سعيد ناصر ، بدون سنة ، دور الأسرة في تنمية قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة السعودية ، ملنقى الاجتماعيين الإلكترونيين ، ص 09 - 19.
- 12/ نبيل علي ، 2001 ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، الكويت ، سلسلة المعرفة ، مطابع السياسة ، ص 376.